على تخوم الربيع السادس لثورة الشباب اليمنية

كتبه توفيق الحميدي | 11 فبراير ,2017

فبراير ثورة من طراز خاص، إنها وردة من بستان الربيع العربي، حيث أضربت أزهار عن التفتح زمنًا ليس بالقليل، فكان كل ربيع يمر علينا أجرد إلا من نخلة حمقاء تسكنه لا تبعث على البهجة ولا تمنح الجمال أو الثمر مع الأمل.

سنوات طويلة مثقلة بالأوضاع والأوجاع على المستوى الشخصي والوطني والحضاري ظلت تزحف نحو لحظتها الزمنية المكتوبة بالقدر الحضاري الممتد في مسيرة تاريخ التغيير الثوري، شرائح كثر تناوبت في زراعة ورد هذا الربيع وصناعة أحداثه الكونية الكبرى حتى أتت لحظة فبراير مكتملة الأركان الثورية والشروط الموضوعية لبدء الزمن الثوري الجديد، شروط كانت ضرورية وكفيلة بتغيير كل شيء في النفوس والواقع الاجتماعي والسياسي والقوى المؤثرة في صناعة القرار وملامح المستقبل.

> لم تكن ثورة فبراير سوى تلك الأشواق والأحلام والأماني بالمستقبل الذي رسمته كلمة المعرفة على جدران الوعي الشبابي اليمني لتتحول بفعل الإرادة إلى تيار أسطوري يكنس من طريق الأمة وأحلام وطنة كل جبروت الاستبداد

لم تكن ثورة فبراير سوى تلك الأشواق والأحلام والأماني بالمستقبل الذي رسمته كلمة المعرفة على جدران الوعي الشبابي اليمني لتتحول بفعل الإرادة إلى تيار أسطوري يكنس من طريق الأمة وأحلام وطنة كل جبروت الاستبداد السياسي والقوة العسكراتية وخرافات التخدير المعرفي والتغييب الديني، في الثورات لا توجد رؤى متعددة لتفسير تلك القوة الشعبية التي هزت جبروت الاستبداد العربي الحديث سوى أنها ثورة بلا تدبير مسبق داخلي وتآمر خارجي كما يروج أبواق الثورة المضادة، هي ثورة عفوية شعبية مستمدة قوتها من شعبيتها وبساطتها وقوة ميتافيزيقية خارج التفسير البشري (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين).

خرجت فبراير اليمنية إلى الساحات كمولود طبيعي للشروط الاجتماعية والسياسية والمعرفية في لحظتها التاريخية مكتمل الخلق، مثلت الساحات التي استقبلتها الوطن الحلم ومفتاح خريطة اليمن الجديد حيث لمت الشتات وجمعت الفرقة وأذابت فيها كل الفوارق، كانت كالأرض المقدسة التي تستوجب على كل قاصديها أن يتحللوا من كل ما يتعلق بالماضي الذي ثاروا عليه، ظل المولود اليمني يكبر ويقوى وتكبر الأحلام المدنية في الساحات وتكبر مخاوف الطغاة خارج الساحات، حيث أصبحنا كوار أقوياء بتحررنا من الخوف وأصبح الحاكم مثقلاً بالخوف من سلميتنا، وكلما زادت سلميتنا ونقاءنا وبهاءنا بالشهداء الأطهار زادت مخاوف الطغاة حتى تحولت إلى كابوس أرعبه فأثقلة فمزقة وتركة عاريًا من أستار السلطة والمال والقوة.

> مر الزمن الثوري مفعم بالدهشة اليمنية وكبرت فبراير كحلم تجاوز كل ما كنا نتمناه، لكننا للأسف لم نكبر معها، غرقنا في تفاصيل قضايانا الشخصية وانكفأ الكثير في دهاليز الأحزاب في نقاشات سردابية

مر الزمن الثوري مفعم بالدهشة اليمنية وكبرت فبراير كحلم تجاوز كل ما كنا نتمناه، لكننا للأسف لم نكبر معها، غرقنا في تفاصيل قضايانا الشخصية وانكفأ الكثير في دهاليز الأحزاب في نقاشات سردابية تتمحور حول تطويع الحلم الوطني في قالب حزبي عتيق، وبرزت هنا مسوخ سياسية ظاهرها الثورة وباطنها حنين إلى ماضٍ مصلحي ثرنا عليه.

كانت فاصلة الكرامة "جمعة الكرامة" العجلة التي ذهبت بنا بعيدًا إلى تخوم الحلم وأدرك بعدها الجميع أننا دخلنا زمن اللاعودة وأن عجلة فبراير التي دارت كانت قد تحركت في الوعي والنفسية اليمنية منذ زمن لم يدركه الجميع، وكشفت جمعة الكرامة حجم الصورة المشوهة التي وصلت إليها الشخصية اليمنية في عهد النظام الذي ثرنا عليه، شخصية شوهاء مشحونة بالعبوية تقتل لأجل المال وبقاء الزعيم، في مقابلها شخصية استثنائية خالدة تتحوصل في أعماقها بقايا بذور حضارة يمنية حميرية سبأية قادرة على الإبهار واستعادة زمام المبادرة، تنبض بحضارة "تبع" إلى جوار "بلقيس" في لحظة يمنية لا تتكرر إلا نادرًا وفي لحظة نصنع فارقًا تارخيًا وحضاريًا واضحًا ومهمًا.

فبراير كانت واجبًا وطنيًا وإنسانيًا ملحًا لتخليص الشخصية اليمنية التي مسخ فكرها ونفسيتها نظام قرر أن يقضي على كل شيء من الكرامة والإباء اليمني لأجل التوريت وضرورة إعادة تأهيلها،

ولكن للأسف تركناها لغياب المشروع الواضح المعالم وغرقنا في حلول سياسية وإعادة إنتاج معالم الستينيات بصورة جديدة.

فبراير ثورة لها منطقها وقوانينها التي تقتضي المفاصلة الناجزة بين عهدين وهو ما لم يتم بوعي فتحرك منطق التاريخ وقانون الثورة على الأرض ليثبت قوة وعنفوان فبراير، فطحنت النظام السابق أولاً بالتفكيك والإقصاء ثم انتقلت إلى قوى الثورة بأنواعها المختلفة ليطحن كل ما له علاقة بالماضي فكريًا وشعوريًا وسلوكيات ليحقق فيها شروط الثائر بما فيهم الرئيس هادي وأركان حكمه، فهناك فارق واضح بين الثائر القادر على تحقيق شروط فبراير الثورة ومن ركب موجتها وحولها إلى نزال سياسي مع حلفاء الماضي، فالثائر اليوم وحده فقط من يستطيع أن يقدم التفسير لما يحدث وفق منطق الثورة وقانونها الصارم.

لم تكن مليشيات الحوثي سوى فلتة عابرة من فلتات التاريخ وجزء أصيل من الماضي الذي ثرنا ضده، إلا أن هذه الجماعات ظلت متحوصلة في كهوف مران حاملة معها فيروسات الخرافة الإلهية التي أتى بها جدها ومؤسس فكرها الإمام الهادي الرسي سبتمبر وظلت تلك الكهوف بعيدة عن أشعة شمس سبتمبر ووعي ثقافتها فبقت جراثيمها وأمراضها تتكاثر في العفن حتى جاءت فبراير فأذابت بحرارتها الثورية هذه الحوصلة لتخرج هذه الكائنات المريضة وتملأ فراغ الزعامة بزعامة مريضة وفراغ المشروع الذي تركة ثوار فبراير دون أن يكتمل، فتلقفت الشخصية المشوهة التي شوهها صالح في معسكرات الأبناء وحولها إلى شخصية مريضة وقاتلة ليصبح اليمن أمام معسكرين الأول معسكر الثورة الذي لم يستكمل ثورته ومعسكرات مضادة للثورة استغلت الفراغين، فراغ الزعامة والمشروع، لتعلن ثورة جديدة بزعامة مجنونة ومشروع تدميري ينصب فبراير العداء لتبدأ مرحلة جديدة لثورة فبراير مرحلة كفاح الضرورة المسلح.

من رحمة الله أن يمدد قبح المليشيات وحليفهم صالح في كل اليمن كتمدد الساحات في فبراير فتحدث المقارنة الواعية ويذوق الناس مر هذا القبح لتغلق في وجوههم كل أبواب القبول المدني وتبرز من اليمن شريحة جديدة تستكمل بها شريحة فبراير الأولى والتي ستؤسس للانتقال إلى شريحة التغيير والبناء، وهي شريحة تستوفي كل شروط البناء والنهوض.

ونحن نحتفل بالذكرى السادسة لثورة فبراير واليمن يعيش صورة أخرى من صور السلمية والصدور العارية تغير فيه كل شيء، صورة هي أحد أوجه فبراير الاضطرارية، وجه الكرامة والحرية الذي يأبى الخضوع لمن ثار عليه سواء باسم الحق الإلهي أو العسكري، فالجيل الذي افترش الأسفلت والتحف السماء ونام بين الوحل والمطر في الساحات هو اليوم نفس الشباب الذي يصنع اليمن في جبال مأرب وفي فرضة نهم ووديان تعز وسواحل عدن، يصنع اليمن الجديد بنفس التنوع، تختلط الدماء والأشلاء الحضرمية والعدنية والتعزية والصنعانية والبيضانية، داسوا على كل أمراض ثوار الفيس بوك الساكنين في الفنادق، جيل يسحق المقدس السياسي السلطوي في الأرض والمقدس الخرافي باسم الحق الإلهي في الفكر والوجدان ليبني يمن فبراير الخالي من المقدسات إلا قدسية الشعب والقيم الكبرى (الحرية والمساواة والقانون).

فبراير اليوم بانتظار الإنصاف وعدم تكرار الأخطاء ولا بد من مراجعة شاملة وعميقة وعلى الجميع أن ينصت للدماء التي سالت والأرواح التي حلقت

فبراير اليوم بانتظار الإنصاف وعدم تكرار الأخطاء ولا بد من مراجعة شاملة وعميقة وعلى الجميع أن ينصت للدماء التي سالت والأرواح التي حلقت، يجب أن تتصدر فبراير المشهد بروحها ومنهجها وعنفوانها كما يجب أن تجدد الثورة شخوصها ومدعي قيادتها، اليوم للثورة نفس آخر غير نفس 2011م يجب أن يمثل ويسمع منه والعابثون باسمها في حكومة الشرعية ويديرون الدولة وفق مشهد عبثي يكرر سلوك النظام السابق في إدارة الدولة وممارسة الفساد وتقسيم المناصب ليس منا ولن يكون منتميًا لفبراير من يمارس العقوق الذي نراه.

رابط المقال : https://www.noonpost.com/16603/